

التجليات النظرية والعملية للإمام الخميني في تعليم و تربية الاطفال

■ تعريب: لجنة التحرير



ان الامام الخميني (ره) كان يحب جميع الاطفال الذين هم مظهر من مظاهر النعم الالهية وكان يعتبر افعالهم واعمالهم طبيعية تتماشى مع فطرته وطبيعتهم ومن هنا كان يعتبر مشاكساتهم وأذاهم امراً طبيعياً وفطرياً.

■ دور القدوة في تربية الاطفال واليا فعين

رغم أن هناك اسباب وعوامل مختلفة تؤثر في تربية وتعليم الانسان ويؤدي كل منها دوراً في صياغة شخصيته، إلا أن تأثير الانسان القدوة في التربية يحظى بأهمية كبيرة. فالى جانب الاسرة، والمعلمين والاصدقاء والشخصيات الرياضية والفنية، الذين يمكنهم ان يكونوا قدوة للانسان. هناك أيضاً شخصيات اخرى مثل الحكام وعلما الدين الذين يعتبرون من الشخصيات النموذجية القدوة والامام الخميني (ره) كان من الشخصيات التي جمعت بين الاثنين.



دور الحكام في اعداد النموذج والقدوة في التربية.

ان اعداد القدوة للاخلاق والعمل ودوره الاساسي في التربية يشمل جميع فئات وشرائح المجتمع ويمكن ان نذكر من ضمنها الحكام والمسؤولين.

فاذا كان المسؤولين والجهات التنفيذية في الحكومة أناس صالحين وملتزمين، فسيتم على اساس المثل المعروف «الناس على دين ملوكهم» اصلاح الشعب تدريجياً، ولكن لو تهاونوا في التربية وفي رقابة اعمالهم واهوائهم النفسية والتجأوا الى الدنيا ومظاهرها، عندها سيبدأ المجتمع ايضاً بالتدرج بالابتعاد عن القيم التربوية الصحيحة ويتجه نحو الفساد الذي يسوق المجتمع الى الدمار. وانذاك سوف لاتنفع نصيحة الناصحين وسيضعف دور الصالحين في هداية الناس وسيتم عزلهم وتجاهلهم وسيستلم امور المجتمع اناس غير جديرين اناس بعيدين كل البعد عن القيم الانسانية. وقد اشار القرآن الكريم الى المصير السييء والمهين لقوم فرعون ودور الحكام المؤثر في هذا المجال: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ» (سورة زخرف: ٥٢) حيث نلاحظ هنا ان اطاعة الحكام الفاسدين هي التي افسدت مجتمعهم وحضارتهم وبالتالي تعرضوا هم للإبادة ايضاً.

ان الطفل الصالح والجدير هو رغبة طبيعة وفطرية لجميع البشر، فالجميع يتمنى ان يكون لديه اطفال وابناء سالمين وصالحين؛ ابنا يكونون قرة أعينهم فيزينون حياتهم ويملاؤها بالافراح، وحتى الاناس غير الجديرين ايضاً يحبون ان يكون لديهم اطفال طبيين وصالحين، الا ان مساعي وجهود ومحاولات اولئك الذين تربوا في مدرسة القرآن تتجاوز هذه الرغبة الطبيعية. فهم لا يريدون فقط ان يكون أطفالهم طبيين وجديرين، وانما يريدون ان يكون أطفالهم الى جانب الاسرة وان يكونوا نموذج وقدوة يحتذى به الناس الجديرون ايضاً، فهؤلاء في صلاتهم ودعائهم وابتهايم الى الله عزوجل يقولون: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» (الفرقان: ٧٢)

السؤال المهم هو: كيف يمكننا ان نحقق هذا الحلم وهذه الامنية السامية وكيف نههد الامور لاستجابة هذا الدعاء حول اطفالنا وابنائنا؟ الاجابة هو ان تربية الطفل الجدير ترتكز على عناصر يمكن مشاهدتها بشكل واضح في كلام الائمة المعصومين عليهم السلام وفي سيرة الشخصيات العظيمة المطلعة على التعاليم الدينية.

وكما نعلم ان دراسة قصص وحكايات وسيرة حياة الشخصيات الكبرى امر ممتع للجميع، وان الانسان قد تأثر طيلة حياته ومنذ الطفولة بالحكايات والقصص الممتعة والمدهشة لهذه الشخصيات الكبيرة وسيرة حياتهم.

فالقصص والحكايات تترك تأثيرها على القارئ بحيث ان الاستدلال العقلي لا يترك مثل هذا التأثير على الانسان ابداً وذلك لان تطبيق موضوع التعليم التربوي والاخلاقي يعتبر احد وسائل التعليم المؤثرة والفاعلة وان القصص والتمثيل ايضاً يؤديان مثل هذا الدور.

وقد تم استخدام هذا الاسلوب في القرآن الكريم، فقد تم في بعض الايات احياناً التصريح مباشرة باتباع شخص وحياناً دون التصريح ذلك والمهم هو انه تم الاشارة الى القدوة وتعتبر قصص حياة ايوب ويوسف وسليمان وابراهيم وموسى ونوح (عليهم السلام) كلها من مصاديق هذا الامر. وتأسيساً على ذلك نلاحظ ان القرآن استخدم طريقة عرض الشخصيات النموذجية القدوة كأسلوب اساسي للتعليم والتربية.

ان اسلوب عرض الشخصيات القدوة في اطار قصة او على شكل قصة، هو اسلوب اتخاذ العبر من حياة الاخرين. من هنا قررنا أن نقدم لمحة وروايات موجزة عن اهل البيت (ع) وبعض الذكريات الجميلة والممتعة للامام الخميني (ره) (هذا الرجل العظيم الذي تمكن بعد ١٤٠٠ سنة ومن خلال الاتباع الصحيح والدقيق للسنة النبوية (ص)، ان يوفر حياة جميلة وممتعة له ولجميع من حوله، حياة يمكنها ان تقدم لنا دروساً تعليمية وارشادية جمة، قصص وحكايات وذكريات جمعناها من مصادر مختلفة وذلك فقط من اجل تذكير اولئك الذين يتمنون السعادة لانفسهم وابنائهم وان نضعها في ايدي ومتناول الاباء والامهات والمشرفين على امور تربية الاطفال.

ونحاول في هذا المقال أن نقدم من خلال دراسة واختيار الشخصيات النموذجية والقدوة بعض مبادئ التعليم والتربية للاطفال واليا فعين في اطار جميل يسترعي انتباههم. وفي هذا المجال نطرح القصص بشكل منظم يحتوي على مواضع وعناوين متنوعة خاصة بالابحاث والمواضيع التربوية المهمة.

و مواضيع هذه المجموعة من القصص هي من صميم الحياة الحقيقية لرجل عظيم عاش في عصرنا وتمكن من خلال تعامله وارتباطه العاطفي مع الاطفال واليا فعين ان يقدم اسلوباً صحيحاً للتربية والتعليم لمن يبحث عن طريق سليم للحياة الانسانية السليمة.

رغم أن هناك اسباب وعوامل مختلفة تؤثر في تربية وتعليم الانسان ويؤدي كل منها دوراً في صياغة شخصيته، إلا أن تأثير الانسان القدوة في التربية يحظى بأهمية كبيرة.

■ نظرة على المبادئ التربوية في سلوك الامام الخميني (ره).

ان الذكريات التي نقلتها أسرة الامام الخميني (ره) واقاربة حول علاقته العاطفية بالاطفال واليا فعيين تبين ان احد الجوانب التعليمية والتربوية لسماحة الامام (ره) هو اسلوب تعامله وتصرفه مع الاطفال. فمع انه كان يستقبل الاطفال بوجه مبتسم وقلب حنون، لكنه كان حساس للغاية ازاء تربيتهم تربية صحيحة وكان يدعو العوائل الى تربية الابناء تربية سالحة والهيته. ويمكن في هذا المجال العثور على أمور مفيدة للغاية من بين احاديثه وكلماته الثمينة ومن خلال سيرته العملية.

■ اللعب مع الاطفال

ان للاباء والامهات مسؤوليات عديدة تجاه أطفالهم وبنائهم ينبغي الاهتمام بها واخذها بنظر الاعتبار. واحد الغرائز التي زرعه الله عزوجل في الاطفال هي الرغبة في اللعب، وقد يكون اللعب في البداية امر غير مجدي لكنه يؤدي الى تكامل الطفل وتنمية روحه واحاسيسه اذ ان اللعب يؤدي الى تنشيط قدرته الفكرية ويكشف عن مواهبه الذاتية. وحتى ان الروايات الاسلامية قد ابدت اهتمام خاص بموضوع لعب الاطفال. فالامام جعفر الصادق (ع) يقول: (الغلام يلعب سبع سنين ويتعلم الكتاب سبع سنين ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين). واحدى فوائد اللعب للاطفال هو ممارسة استقلالية الارادة وتحفيز روح المبادرة وذلك لانه اثناء اللعب ينشط الجهاز الفكري للطفل بأكمله فيشعر بالمتعة لكل خطوة ناجحة يقوم بها، واذا سخر والداه منه ودعوه غيباً ووصفوا ما يقوم به بانه عمل غير صحيح، فان هذا العمل يعتبر اهانة له وسيوجه اكبر صدمه نفسية لشخصيته.

ان من سبل تربية وتنمية شخصية الطفل هو مشاركة الكبار في اللعب معهم، فعندما يشارك الاب أو ام في اللعب مع الاطفال، ويساعدوهم في نشاطاتهم الطفولية سيشعر الطفل في ذاته بان مايقوم به عمل قيم ومهم لدرجة بحيث ان الام والاب قد التحقا به وبادرا بمشاركة في اللعب، ومثل هذا العمل يحيى الشعور بالشخصية لدى الطفل وبالتالي تزداد ثقته بنفسه ويزداد شعوره

الحضور النسوي الفاعل جعلها تتمتع بكثير من الحقوق والإمكانيات التي تشكل النسبة الأعلى في التعليم سواء على صعيد مكافحة الأمية أو التدريس أو الدراسة، أو التثقيف الديني، أو بنيل حقها السياسي في الانتخاب والترشيح.

يقول الامام على (ع) في هذا المجال: «فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة». وفي مكان اخر يقول: «من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

و هذا الموضوع يحظى بأهمية أكثر في الحكومات الدينية التي يتولى مسؤوليتها أهل الدين وذلك لأن الخير والشر في المجتمعات يتأثران جداً بأسلوب عملهم وادائهم. وروي عن النبي (ص) بأنه: «صنفان من أمتي اذا صلحا صلحت أمتي، واذا فسدوا فسدت أمتي». قيل: يا رسول الله ومن هما؟ قال: (الفقهاء والامراء).



دور علماء الدين في اعداد والقدوة التربوية.

من بين النماذج الانسانية التي تساهم في اعداد القدوة هم علماء الدين والمسؤولين عن القضايا الدينية، حيث ان سلوك وكلام العلماء والفقهاء يترك تأثيراً كبيراً على الناس والمجتمع. واذا كان عالم الدين رجل صالح فانه سيقود المجتمع الى الصلاح والفلاح. وفيما اذا كان فاسقاً وفساداً فانه سيقود المجتمع الى الرذيلة والفساد. يقول القرآن الكريم في معرض اشارته الى تأثير العلماء في اهتداء النصارى: «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» (مائدة: ٨٢)

و يقول الامام علي (ع) في هذا المجال: زلة العالم كإنكسار السفينة تغرق وتغرق معها غيرها).

لذا فأن اداء وافعال جميع الذين يعتبرون بأنهم أمناء على الدين ومسؤولين عن الامور الدينية يترك تأثيراً كبيراً وأساسياً على نوع السلوك الديني للناس وتدينهم، والانسان بصورة عامة قبل ان يتأثر بكلام وتبليغ الامناء على الدين والمسؤولين المشرفين على الامور الدينية، يتأثر بسلوكهم وتعاملهم وافعالهم، ولهذا السبب يعتبر اداء وافعال المسؤولين عن الدين وخاصة علماء الدين مهم للغاية في تعزيز مكانة الدين او اضعافه بين الناس. ونظراً الى مكانتهم العلمية فأن صلاحهم وفسادهم سيترك تأثيره على المجتمع ايضاً.

والقرآن الكريم يذم اولئك الذين يقولون مالا يفعلون ويقولون (لم تقولون مالا تفعلون) (الصف الاية ٢). ومن وجهة نظر امير المؤمنين (ع) ان دعوة الناس الى الدين والتدين سيكون مؤثراً عندما يعمل الدعاة انفسهم بما يقولون: «فان العالم يغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم، و عندالله الوم».

وتأسيساً على ذلك فان مسؤولية العلماء والمسؤولين عن الشؤون الدينية مسؤولية خطيرة جداً وذلك لان افعالهم واعمالهم ستكون نموذج و قدوة لجميع بناء المجتمع.

بالاستقلالية. ولهذا يعتبر موضوع مشاركة الكبار في اللعب مع الاطفال أمر مهم جداً في البرامج التعليمية والتربوية ويعتبره العلماء وخاصة علماء النفس من أهم المهام التربوية للوالدين وأكدوا على ضرورة مشاركة الاب والام في القضايا الترفيحية لاطفالهم.

■ الاستنتاج

يمكن الاشارة الى النقاط التالية بعنوان اهم نتائج البحث الذي ذكرناه :

١- من خلال دراسة بعض من الروايات التربوية ووفقاً لخبراء التعليم والتربية الاسلامية نجد أن الدين الاسلامي قد أكد كثيراً على التربية الدينية للأبناء وخاصة التربية العبادية. حتى تتوفر للاطفال والابناء الارضية اللازمة لبلوغ المراحل العالية للكمال. ولتحقيق هذا الهدف وجعل الاطفال يهتمون بالتعليم واداء الفرائض الدينية ينبغي ان يتم اتخاذ التدابير اللازمة والمناسبة في هذا المجال منذ الطفولة. وبهذه الطريقة ومن خلال التخطيط الدقيق، نحاول ان نقوم بتعليم الاطفال القضايا الدينية والاخلاقية المبدئية بأسلوب بسيط يفهمه الطفل ببساطة ويشجعه على الاداء والالتزام بها.

٢- ان احد الجوانب التعليمية والتربوية لسماحة الخميني (ره) هو اسلوب تعامله وتصرفه مع الاطفال، فمن جهة نراه انه كان يستقبل عادة الاطفال بوجه ممتسم وقلب حنون، لكنه من جهة أخرى كان حساس للغاية ازاء تربيتهم تربية صحيحة وكان يدعو العوائل الى تربية الابناء تربية سالحة والهيبة. بحيث نستطيع العثور على امور مفيدة للغاية في هذا المجال من خلال احاديثه وكلماته الثمينة ومن خلال متابعة سيرة حياته العلمية.

و اذا امعنا النظر في تعامل الامام الخميني مع الاطفال نلاحظ ان جميع سلوكياته وتعامله مع الاطفال كانت مبنية على اساس من وعيه ورؤيته وروحه السماوية المتسامية، حيث نرى ان رغم تقدمه في العمر ورغم الامراض التي اصابته كان يلبي احتياجات الاطفال وكان يتصرف معهم كما يتصرف النبي الاكرم (ص) مع الاطفال.

٣- ان الامام الخميني (ره) كان يحب جميع الاطفال الذين هم مظهر من مظاهر النعم الالهية وكان يعتبر افعالهم واعمالهم طبيعية تتماشى مع فطرتهم وطبيعتهم ومن هنا كان يعتبر مشاكساتهم وأذاهم امراً طبيعياً وفطرياً.

٤- يعتبر الامام الخميني (ره) من افضل الشخصيات النموذجية القدوة للعوائل في عصرنا الراهن.

